

الخطوط العامة

للفكر الإسلامي في القرآن

## المقدمة

إن عرض الإسلام بشكله المسلكي الاجتماعي مع امتلاكه للأصول المنسجمة والمتناغمة ذات الأبعاد الشاملة للحياة الإنسانية يعتبر اليوم من أولى الضروريات للفكر الديني.

لقد كانت الأبحاث والتحقيقات الإسلامية قبل اليوم في الغالب فاقدة لهاتين الخاصيتين الفائقتين في الأهمية مما كان يجعل الباحثين والمحققين في عملية مقارنة الإسلام بالمدارس والمسالك الاجتماعية العصرية كما ينبغي، غير قادرين على الوصول إلى نتيجة مثمرة وحكم قاطع. وبتعبير آخر يبقى هؤلاء عاجزين عن عرض هذا الدين بصورة مترابطة ومتحدة الأجزاء ومقارنته بسائر المدارس والأديان.

إضافة إلى أن الأبحاث بشكل عام ذهنية (فكرية) وتنجز في محيط بعيد عن التأثير العملي والواقعي وخاصة الاجتماعي، وهي لا تؤدي إلا إلى المعرفة الذهنية، وهي لا تبين الالتزام والتكليف أو النظرية الواضحة بالنسبة للحياة الاجتماعية الإنسانية وخاصة بالنسبة لتعيين شكل ومحتوى المجتمع.

وكلمة أخرى وهي أن القرآن — ذلك السند القاطع واليقيني للإسلام — في أكثر الموارد لم يجد حظاً للبحث والبيان، وبدلاً منه استعيض بالأبحاث والتعمقات شبه العقلية أو الروايات والمنقولات الظنية، وأحياناً باعتبار أكثر. وكانت النتيجة أن الأفكار العقائدية المنفصلة عن القرآن واللامبالية به نشأت ونمت وتشكلت. ولعل هذا الانفصال وعدم الاعتناء أو الشعور بعدم الحاجة واليأس من إمكانية الاستفادة الصحيحة، وكل واحدة

منها ناشئة من عوامل خاصة، أدت إلى ترك التدبر في الآيات القرآنية والاستعاضة عنه بالقراءة والتلاوة الأخروية، وهكذا أصبح الكتاب الإلهي الكريم في معرض العامة والخدم.

وباللتفات إلى هذه الواقعية يمكن أن نعتبر بشكل ملخص ثلاث خصوصيات مهمة في الأبحاث الفكرية الإسلامية كضرورة يعد التخلف عنها غير لائق بالمفكرين الواعين والمسؤولين في هذا العصر:

الأولى: إن المعارف والأنظمة الإسلامية خارجة عن التجرد والذهنية المحضة — مثلها مثل كافة المدارس الاجتماعية — وهي ناظرة إلى التكاليف العملية وخاصة في الحياة الاجتماعية، ولهذا ينبغي التأمل والتحقيق في الخطوط التي تعرضها لحياة الإنسان وهدفه في هذا الوجود وطريق وصوله إلى هذا الهدف.

الثانية: مطالعة المسائل الفكرية الإسلامية بصورة مترابطة وكأجزاء لوحدة واحدة، ودراسة كل واحدة بلحاظ أنها جزء من مجموع الدين وعنصر من هذا المركب وركن من هذا البناء، وهي مرتبطة بالأجزاء والعناصر الأخرى، حتى يتم من معرفة هذه الأصول استنتاج الخطوط العاملة والشاملة للدين بصورة إيديولوجية كاملة غير مبهمه ذات أبعاد متناسبة مع حياة الإنسان ذات الأبعاد المختلفة أيضاً.

الثالثة: عند استنباط وفهم الأصول الإسلامية ينبغي الاعتماد على المتون والمصادر الأساسية للدين دون الآراء والتحليلات الشخصية أو الإلقاءات الفكرية من هنا وهناك... حتى تكون نتيجة البحث "إسلامية" بحق ولا غير. ولأجل تحقيق هذا الهدف، فإن القرآن هو أكمل وأوثق سند

يمكن الاعتماد عليه: {لا يأتيه الباطل من بين يديه} و"فيه بيان لكل شيء"  
وبالطبع في ظل التدبر العميق الذي أمر القرآن به.

ما جمع في هذه الرسالة (المقالات) نموذج من هذا السعي لتأمين هذه  
الأهداف بشكل تقرير عن الإسلام في سلسلة محاضرات، وقد سعينا في  
هذه المحاضرات أن نبحث في أهم الأصول الفكرية للإسلام في أكثر  
أبعاده بناءً وحيويةً من خلال آيات القرآن المبينة. وضمن الشرح المبين  
الذي يعلم القراء كيفية التدبر والتعمق في القرآن حددنا الأصول المذكورة  
في الآيات واستفدنا في الأماكن اللازمة من الروايات الصحيحة الصادرة  
عن النبي (ص) والأئمة المعصومين (ع) لأجل التوضيح والتأكيد لتبيين من  
خلال التأمل والتدبر في الآيات القرآنية أصول الإسلام أيضاً من الناحية  
العملية والتكليفية كإحدى نقاط أسلوب التفكير والأيدولوجية في الإسلام.

١٣٩٦هـ

## الإيمان

### ١ — الإيمان

إن سعي الإنسان وحركته — التي هي فلسفة وجوده — له نقطة بدء وانطلاق... وهي الإيمان.

الإيمان يعني التصديق والقبول والتمسك بذلك الشيء الذي ينبغي أن يسعى الإنسان إليه، وبذلك الطريق الذي يوصله، وأخيراً بنفس هذا السعي والتحرك.

بدون الإيمان فإن كل حركة وسعي تكون غفلةً وهباءً، وكل توجه يكون ميتاً بدون نشاط وتكون عاقبته الخمود والركود.

واستناد القرآن إلى "الإيمان" و"المؤمن" وتعريفه لهذه الصفة أنها أعلى القيم وأعظم الخصال الإنسانية، ينبعان من هذه الواقعية.

لننظر إلى تقسيم القيم الإسلامية التي هي من الدرجة الأولى في الآية التالية وإلى الإيمان — الذي جعل على رأسها — ونفكر فيها:

{ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلّاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتّقون}. (البقرة/ ١٧٧).

ولهذا نجد القرآن في جوابه لأهل الكتاب الذين اعتبروا أن اليهودية والنصرانية هي الوسيلة الوحيدة للفوز والفلاح، يطرح الإيمان الإسلامي الواسع ويعتبره مؤدياً إلى الهداية:

{قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون \* فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا}. (البقرة / ١٣٦ — ١٣٧).

## ٢ — الإيمان الواعي

وبالنظر والتدقيق في الآيات التالية نصل إلى المواضيع التالية:

١ — يتمتع الإيمان بالأصول والمباني العقائدية، الذي كان أحد الخصائص العظيمة لرسول الله وأتباعه الخلّص، بأهمية فائقة حيث أكدّه القرآن الكريم كثيراً:

{آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير}. (البقرة / ٢٨٥).

ب — ولكنه الإيمان الواعي الذي يستند إلى الفهم والإدراك ويتعد عن العمى والتقليد. وهذا هو الإيمان الذي ميّزهم عن العبودية والتبعية الساذجة التي تجعل العمل هباءً منثوراً لا يخرج به صاحبه بنتيجة أو فائدة.

وفي هذه الآيات، نشاهد إشارة واضحة إلى هذا الوعي:

{إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب \* الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب النار \* ربنا إنك مَنْ تدخل النار فقد أخزيتَه وما للظالمين من أنصار \* ربّنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا}. (آل عمران / ١٩٠ — ١٩٣).

ج — ولو لم يكن هذا الوعي والفهم والاستدلال الجلي لتبدل الإيمان إلى التحجر والتعصب الجاهلي، ولانسدّ طريق الوصول إلى الحقيقة والهداية أمام الإنسان؛ ولهذا يدين القرآن الكريم هذا النوع من الإيمان المتعصب والوراثي الذي يتمسك به الكفار والمخالفون بشدة. فلنستمع إلى هذا الخطاب الشديد والمليء بالموعظة:

{وإذا قيلَ لهم تعالوا إلى ما أنزل وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون}. (المائدة / ١٠٤).

### ٣ — الإيمان يولد العمل والالتزام

هل يكفي الإيمان المقتصر على التصديق والقبول الفكري الكامل لوحده؟ أو أنه يصبح معتبراً عندما يتحول إلى "مسيرة حياة" و"تعهد عملي"؟ نجد القرآن يؤكد أن الإيمان يكون دائماً ملازماً للعمل ويتحول إلى دافع لـ "سلوك الطريق نحو المطلوب". وفي عشرات الآيات يبين أن الأجر والثواب الدنيوي والأخروي يترتب على أساس "الإيمان الملتزم بالعمل". فلننظر في آفاق الخطاب القرآني ونفكر فيه:

{يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا}

واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون \* وجاهدوا في الله حقَّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبلُ وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير}. (الحج / ٧٧ — ٧٨).

وفي الآيات المذكورة نجد أن أهم الخصائص الإيمانية الدينية هي: النصر والتوفيق، الاجتباء، القيادة، ورقي البشرية، وأخيراً النصر والرياسة الإلهية تترتب على أساس الإيمان الممتزج بالعمل.

والآية التالية (من سورة الأنفال) تذكر بلهجة وبيان آخر الأعمال الناشئة من الإيمان، وتبين دور الإيمان الملازم للعمل في حفظ المجتمع الإسلامي:

{إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا}. (الأنفال / ٧٢).

#### ٤ — الإيمان والالتزام بالتعاليم

إن الإيمان الصحيح، الذي كان باعثاً على التدبر في الآيات السابقة، متلازم مع التعهد (الالتزام). أما النفعيون والاستغلاليون فإنهم لا ينظرون إلى مسؤولياتهم الإيمانية بعين الالتزام المطلوب والواجب، بل ما دامت تلك التعاليم متناسبة مع منافعهم الذاتية واعتداءاتهم وتجاوزاتهم فإنهم يلتزمون بها، وفي غير هذا الوضع فإنهم يدعونها جانباً ويهملونها.



أما ثقافة القرآن فإنها تصرح بأن مثل هؤلاء الناس — الذين لم يتركوا حتى ذخراً للإيمان القلبي ليوم الندامة في زوايا قلوبهم — غير مؤمنين وأن السعادة والفوز والفلاح والعلو و... تلك البشائر للمؤمنين تختص بأولئك الذين يلتزمون بكل التكاليف الدينية في جميع الأحوال.

والآيات التالية نداء القرآن الجلي في هذا المجال:

{لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم \* ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين \* وإذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون \* وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين \* أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون \*}

إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون \* ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون}. (النور / ٤٦ — ٥٢).

ثم تبشر الآية التالية بالوعد الإلهي باستخلاف المؤمنين وسيطرتهم على العالم وإقامة المجتمع الإسلامي المثالي على يد المؤمنين الذين يؤدون تكليفهم بما يتناسب مع الإيمان:

{وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً}. (النور / ٥٥).

## ٥ — البشائر

ماذا يحتاج الإنسان للوصول إلى السعادة الكاملة والشاملة؟

إنه يحتاج إلى:

١ — معرفة الهدف والمنزل النهائي للسعادة وطريق الوصول إليه  
(الهداية).

٢ — إزالة حجب الجهل والغرور والشكوك وكل ما يعميه عن معرفة  
جوهر ذاته ويمنعه من الإدراك والفهم الصحيح حتى يشع نور الحقيقة في  
قلبه (النور).

٣ — ما ينجيه، أثناء سفره الطويل إلى السعادة، من الوسوس الباطنية  
— التي هي أشرس وأخطر من العوامل الخارجية — (الطمأنينة والأمن).

٤ — أن يرى أن سعيه مثمر ويأمل بعاقبة حسنة.

٥ — غفران خطاياہ وعثراته (المغفرة والرحمة).

٦ — الشعور في جميع الأحوال بأنه يعتمد على الأمور المطمئنة.

٧ — القدرة التي تفوق قدرة البشر عند مواجهة الأعداء والمهلكات.

٨ — التفوق على المعسكرات المعادية.

٩ — الانتصار على قطاع الطريق الذين يحولون دون وصوله إلى  
الهدف.

١٠ — أن تكون عاقبته في كل الصعاب والشدائد والمخاطر الوصول  
إلى الهدف والمقصود النهائي (الفوز والفلاح).

١١ — الاستفادة في جميع الأحوال — أثناء السفر وعند الوصول —  
من العطايا العظيمة التي أعدت للبشر في هذا العالم.

وأخيراً بعد انتهاء دورة الحياة وخاتمة جميع المساعي يصل إلى  
الثواب اللائق ويحل في جنة الرضوان.

والآن لنستمع إلى خطاب القرآن الذي يبشر أولئك الذين يسلكون  
سبيل الإيمان والعمل والالتزام:

أ — الهداية:

{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم}. (يونس /  
٩).

{يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً \*  
فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل  
ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً}. (النساء / ١٧٤ — ١٧٥).

{والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين}.  
(العنكبوت / ٦٩).

ب — النور:

{الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور  
والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات  
أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}. (البقرة / ٢٥٧).

{يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً \* وسبحوه بكرة وأصيلاً \*  
هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور}.  
(الأحزاب / ٤١ — ٤٣).

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته  
ويجعل لكم نوراً تمشون به}. (الحديد / ٢٨).

#### ج — السكينة والأمن والطمأنينة:

الخلوص من الوسوس والقلق والاضطرابات إحدى أهم خصائص  
وصفات المؤمن. والقرآن الكريم يبشر بهذه الحالة الروحية العظيمة:

{الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب \*  
الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب}. (الرعد / ٢٨ -  
٢٩).

وهذا إبراهيم العظيم عليه السلام يقدم للمشركين الضالين في زمانه  
الذين لم يتبعوا الدين والمسلك المحكم فاضطربت أرواحهم ولم يعيشوا  
السكينة، يقدم لهم نموذج سكون النفس والأمن الباطني الذي ينبع من  
الإيمان الراسخ.

{وحاجّه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون  
به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون \* وكيف  
أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم  
سلطاناً فأَي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون \* الذين آمنوا ولم  
يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون}. (الأنعام / ٨٠ - ٨٢).

#### د — النتيجة المثمرة:

يعلم المؤمن أن كل خطوة يخطوها تقرّبه إلى الهدف، وأن كل حركة  
يقوم بها لها أثر طيب، ولا يضيع منه شيء حتى تنتهي إلى العاقبة الحسنة.

{وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن  
ينقلب على عقبه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله  
ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم}. (البقرة / ١٤٣).  
{فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له  
كاتبون}. (الأنبياء / ٩٤).

## التوحيد

### ١ — التوحيد في الرؤية الكونية الإسلامية:

في الرؤية الكونية الإسلامية جميع ظواهر العالم مخلوقة ومرتبطة بقدرة أعلى. وهذه القدرة هي الله الذي له كل صفات الكمال كالعلم والقدرة والإرادة والحياة...

فمن أعماق الذرة التي لا ترى إلى أوج الأفلاك والمجرات والعوالم المجهولة، كل هذه تجري بمشيئته ومنقادة إليه. وموجودات العالم، من الإنسان وغيره، عباد له وهم مشتركون في الرجوع إليه. ولا يوجد أحد خارج دائرة هذه العبودية، حتى ما ذكر تحت عناوين كالبنوة أو الزوجية أو المثل له...

وعباده ينالون كل شيء — الفكر والوعي والقدرة والإرادة والإمكانات المادية — منه، فهو مصدر كل شيء وسبب كل حياة.

وتمثل هذه الفكرة البناء الأساس والقاعدة الكبرى لكل الأفكار والبرامج والأحكام العملية في الإسلام.

ونغمات التوحيد تصدح في مئات آيات القرآن.

فلنلتفت إلى نماذج منها:

{الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم}. (البقرة / ٢٥٥).

{وقالوا اتخذ الرحمن ولداً \* لقد جئتم شيئاً إدّاً \* تكاد السموات  
يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً \* أن دعوا للرحمن ولداً \*  
وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً \* إن كل من في السموات والأرض إلا  
آتي الرحمن عبداً \* لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً \*}. (مريم / ٨٨ — ٩٤).

## ٢ — التوحيد في الأيديولوجية الإسلامية

التوحيد القرآني ليس فكرة حيادية وغير مسؤولة، بل هو معرفة ملتزمة  
ورؤية فعالة وبنّاءة. فهو منهج فكري لبناء المجتمع وإدارته، ورسم خط  
سيره (الاستراتيجية) وتعيين هدفه، وتأمين عناصر حفظه واستمراريته.  
وبتعبير آخر إن التوحيد من أركان الإسلام، بل هو الركن الأساسي فيه.

إن ارتباط العالم والإنسان بالقدرة العليا (الله) يستلزم هدفية وسيره  
باتجاه مقصد ما، وهذا الارتباط يتضمن المسؤولية التالية: إن الإنسان الذي  
يمتلك الوعي والإرادة ينبغي أن يتقدم نحو الهدف الصحيح ولا بد أن  
يتعرفه.

إن الخالقية والسيطرة التكوينية لله تستلزم أن يكون زمام التشريع بيده  
وحده، والجميع (كل الموجودات الواعية المحتاجة إلى قانون) ملزم باتباع  
شرعه (انحصار الألوهية فيه).

إن علم الله المطلق يستلزم أن تكون صلاحية تنظيم القوانين الإنسانية  
(التي تضمن مصالحهم) بيده وحده.

وعبودية الجميع لله تستلزم عدم تسلّط أحد — من نفسه، وبالاستقلالية  
— على الآخرين (نفي الطاغوت). فالحاكم المدير والمدبر لشؤون حياة  
الناس هو فقط من يختاره الله (أما بشخصه، مثل الأئمة المعصومين أو

بالعلائم والشروط مثل الحاكم الإسلامي في زمن غيبة الإمام المعصوم)  
وهذا معنى (انحصار الربوبية).

إن التدبر في الآيات التالية يسلط ضوءاً على النهج الفكري للإسلام في  
التوحيد ومسائله:

{ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين  
آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً  
وأن الله شديد العذاب \* إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا  
العذاب وتقطعت بهم الأسباب \* وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ  
منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم  
بخارجين من النار}. (البقرة / ١٦٥ — ١٦٧).

### ٣ — انحصار العبادة والطاعة لله

علمنا أن التوحيد إضافة إلى أنه رؤية فلسفية، فهو معرفة عملية وبنّاءة،  
أي أنه عقيدة يقع بناء الحياة الاجتماعية والفردية للإنسان على أساسها.  
فلنشر الآن إلى جزء من الخطوط العامة "لنص التوحيد" في القرآن:  
بناء على أصل التوحيد، لا يحق للناس أن يعبدوا أو يطيعوا أحداً غير الله،  
فجميع السلطات التي فرضت على البشرية عبر التاريخ كانت باطلة  
ومخالفة للحق.

وهذا يشمل الأصنام والآلهة المزيفة ومدعي الألوهية، وأصحاب  
الأهواء النفسية... والآيات التالية (من سورة يونس) — حيث الحديث عن  
الشركاء الوهميين من البشر وغيرهم — تبين عرضاً شاملاً لهذه الرؤية:



{ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم  
فزَيَّلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون \* فكفى بالله شهيداً  
بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين \* هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت  
ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون \* قل من  
يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي  
من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا  
تتقون}. (يونس / ٢٨ — ٣١).

وبعد عدة آيات يستمر الحديث بلهجة أقرب إلى الأصنام البشرية  
ومدعي الربوبية من الأصنام الجامدة والخالية من الروح:

{قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن  
يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمَّن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف  
تحكمون}. (يونس / ٣٥).

من الجلي الواضح أن الهداية والاهتداء أمور مختصة بالموجود الحي  
والإنساني؛ لذلك فإن هذه الآية مختصة بأولئك الذين ادعوا الربوبية  
والتدبير واعتبروا أنفسهم شركاء لله أو بدلاء عنه.

إن نفي عبادة مدعي الألوهية — سواء كانوا بلباس الدين (الأحبار  
والرهبان) أو أصحاب القدرات السياسية والاقتصادية (الطاغوت، الملأ،  
المترفين) هو من روح التوحيد.

وهذا ما يظهر في الآيات القرآنية:

{قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون}. (آل عمران / ٦٤).

ومن جانب آخر فإن إطاعة العباد المخلصين إطاعة الله.

#### ٤- روح التوحيد: نفي العبودية لغير الله

إن دائرة التوحيد ونهجه في الحياة وفي النظام الاجتماعي تتضح أكثر من خلال التدبر في بعض الآيات التي تتناول التوحيد والشرك. والقرآن الكريم يعتبر أن عدم عبادة غير الله لا تكفي ليكون الإنسان موحداً وإنما يضيف إليها شروطاً أخرى.. ومنها عدم إطاعة أعداء الله والطواغيت.

وهذا الأمر واضح في القرآن الكريم إلى درجة أن الطاعة والاتباع وردت في بعض الموارد تحت عنوان العبادة، وأن أولئك الذين يطيعون غير الله مشركون. وبهذا البيان يمكن التعبير عن عبادة الله التي هي روح التوحيد "بالعبودية والطاعة المنحصرة بالله" وأن عبودية وطاعة غير الله تعد شركاً.. سواء في الأوامر الشخصية، أو في القوانين العامة، أم في شكل النظام الاجتماعي وكيانه.

ويتجلى التوحيد بهذا البيان الواضح في آيات عديدة:

{أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين \* وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم \* وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون \* إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم

بالمهتدين \* فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين \* وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين \* وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقتربون \* ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون}. (الأنعام / ١١٤ — ١٢١).

{وأزلفت الجنة للمتقين \* وبرزت الجحيم للغاوين \* وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون \* من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون \* فكبكبا فيها هم والغاوون \* وجنود إبليس أجمعون \* قالوا وهم فيها يختصمون \* تالله إن كنا لفي ضلال مبين \* إذ نسويكم برب العالمين \* وما أضلنا إلا المجرمون \* فما لنا من شافعين \* ولا صديق حميم \* فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين \* إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين}. (الشعراء / ٩٠ — ١٠٣).

## ٥ — التوحيد ونفي الطبقيّة الاجتماعية

إن الامتيازات الاجتماعية والطبقات المختلفة في الشعب الواحد لهي من أكبر مظالم التاريخ. وتعود البنية الاعتقادية لمثل هذه الحالات أحياناً إلى هذه الفكرة وهي "أن هناك آلهة مختلفين يديرون الطبقات المتعددة وقد خلقوا كل واحدة منها على نحو الامتياز". ولهذا اعتبر أصحاب هذه الأفكار أن وجود الطبقات العليا أمر طبيعي وهبة خاصة وإن حرمان الطبقات الدنيا ضرورة فطرية.

أما عقيدة التوحيد فإنها تعتبر أن الجميع عباد الله ومخلوقاته، وتطرد كل جذور الاختلاف الطبقي من أذهان الناس ومن الواقع والمجتمع من خلال التعاليم التي تنبع من أصل التوحيد. وبالتأمل في الآيات التالية ندرك بعض هذه التعاليم منها:

١ — إن خالق ومعبود الجميع هو الله.

٢ — الجميع قد خلقوا من أصل مادي واحد.

٣ — لا يوجد أحد يتمتع بمزية في الخلقة توجب له حقوقاً خاصة.

٤ — جميع المزايا ميسرة للجميع وترتبط بسعيهم ومجاهدتهم المستمرة.

٥ — إن كل العالم منه، وجميع الناس فقراء إليه و... و... و...

{قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون \* سيقولون لله قل أفلا تذكرون \* قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم \* سيقولون لله قل أفلا تتقون \* قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون \* سيقولون لله، قل فأنتى تسحرون \* بل أتيناكم بالحق وإنهم لكاذبون \* ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون}.

(المؤمنون / ٨٤ — ٩١).

{يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير}.

(الحجرات / ١٣).

{ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً}.

(الإسراء / ٧٠).

## ٦ - التأثير المعنوي للتوحيد:

وكما أن أهم رسالة للتوحيد "بناء المجتمع التوحيدي"، المجتمع الذي لا يعيش الطبقية تحت حكم الله وقوانينه... فإن الآثار التي تنجم عن هذا الاعتقاد في النفس والروح لهي من أعجب أبعاد هذا الأصل المتين للدين الحنيف بحيث يمكن القول: إن لعقيدة التوحيد نوعين من البناء: بناء المجتمع، وبناء الفرد.

فالإنسان الذي يؤمن بالتوحيد سوف يحصل على أثره على صفات عظيمة: كالأمل والرجاء الذي لا حد له والشوق والسعي الذي لا ينتهي، وعدم الخوف والطمع، وسعة الأفق، والتوجه الصحيح و...

ويشير القرآن الكريم في عدة موارد ضمن ذكر الإيمان والحياة التي يعيشها الموحدون إلى تلك الخصائص والصفات، منها:

{الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل \* فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم \* إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين}. (آل عمران / ١٧٣ - ١٧٥).

## النبوة

ما هو داعي الأديان الإلهية وفلسفة النبوات التي تحمل معها إبلاغ البرامج السماوية؟ ما هو مفهوم النبوة وما علاقتها بالبعثة؟ ما هي أهداف النبوة والبعثة؟

من أين تبدأ حركة الأنبياء؟ وإلى أين تنتهي؟ و...؟ و...؟  
هذه الأسئلة وغيرها ترتبط بالمسائل والمواضيع الأساسية والحساسة في "أصل النبوة" وبالاطلاع عليها يصل الإنسان إلى الإيمان الثابت والالتزام العميق.  
والقرآن الكريم يجب عنها عرض مختصر وبيان عميق وكامل.

### ١ — فلسفة النبوة:

إن الحواس الظاهرية، والغرائز المخفية، وأعلى منها: العلم والمعرفة التي توات عليها البشرية؛ كل هذه لا يمكن أن تهدي الإنسان إلى السعادة.

فالإنسان يحتاج إلى هداية أعلى من هداية العقل، تقود العقل وتصونه وترفعه، وهي هداية الوحي ... وحي الله الذي خلق الإنسان، والذي عنده كل ما ينقصه ويحتاج إليه ويشفي آلامه وأسقامه .. هذا هو منطق جميع الأديان العالمية وهو فلسفة النبوة.

وبموجب هذا الاحتياج يُبعث النبي، ويطبق البرامج التي يتوق إليها الإنسان.

ويمكن أن نشاهد هذه الحقائق بوضوح في طي هذه الآيات القرآنية:

{كان الناس أمةً واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم \* فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم}.

(البقرة / ٢١٤).

{يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم \* هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين \* وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم}.

(الجمعة / ١ — ٤).

## ٢ — البعثة في النبوة:

النبوة بعثة، وهي تعني النهوض والقيام بعد السكون والهدوء. وتكون هذه البعثة في البداية في باطن النبي ونفسه، ثم تنتشر بعد ذلك في محيطه وفي العالم.

والنبي هو الإنسان القادر على تحمل ثقل المسؤولية العظيمة من خلال الاستعدادات الفائقة والتي هي أعلى من الأمور العادية. ولكن إلى ما قبل البعثة تكون هذه الاستعدادات في القوة والخفاء، ويكون النبي مثل الأفراد العاديين في مسيرة الحياة الاجتماعية، فيوجد الوحي الإلهي فيه تحوُّلاً وانقلاباً فيبعث في روحه ويصبح مبعوثاً.

وهذه آيات سورة "الضحى" القصيرة المليئة بالبشارة تدون بداية البعثة في باطن النبي العظيم وروحه:

{والضحى \* والليل إذا سجى \* ما ودّعك ربك وما قلى \* وللآخرة  
خير لك من الأولى \* ولسوف يعطيك ربك فترضى \* ألم يجدك يتيماً  
فأوى \* ووجدك ضالاً فهدى \* ووجدك عائلاً فأغنى...}. (الضحى / ١ — ٨).

وهذا البعث الباطني — الذي أثر في جسد النبي وأعصابه أيضاً — يبدأ  
مع بدايات نفحات الوحي التي نقرأها في سورة "العلق":

{اقرأ باسم ربك الذي خلق \* خلق الإنسان من علق \* اقرأ وربك  
الأكرم \* الذي علم بالقلم \* علم الإنسان ما لم يعلم \* كلا إن الإنسان  
ليطغى \* أن رآه استغنى \* إن إلى ربك الرجعى...}. (العلق / ١ — ٨).

كذلك ما نجده في الآيات الموزونة في سورة "النجم" من إشارة إلى  
هذا التحول الباطني: {والنجم إذا هوى \* ما ضل صاحبكم وما غوى \* وما  
ينطق عن الهوى \* إن هو إلا وحي يوحى \* علمه شديد القوى \* ذو مرة  
فاستوى \* وهو بالأفق الأعلى \* ثم دنا فتدلى \* فكان قاب قوسين أو أدنى  
\* فأوحى إلى عبده ما أوحى \* ما كذب الفؤاد ما رأى \* أفتمارونه على ما  
يرى}. (النجم / ١ — ١٢).

أجل، فبعد هذه البعثة الباطنية تغير طريق النبي وأعطى لسعيه لون  
آخر، وبجده وجهاده المستمرين يسعى إلى إيجاد بعثة وتحول أصيل في  
المجتمع وفي صلب الحياة الإنسانية.

وهذه هي مسؤولية الرسالة.



### ٣ - البعثة الاجتماعية للنبوّة:

يظهر النبي في وضع اجتماعي سيء ومنحرف، لأجل الإصلاح والهداية والدعوة المنسجمة مع الفطرة الإنسانية، ولرفع المجتمع البشري وسوقه إلى التكامل، أي يُظهر الحق على الباطل.

والإنسان الذي يمتلك فطرة منسجمة مع العالم، إنما يكون في مسيرته الطبيعية والفطرية (التي هي طريق تكامله) عندما يجعل نفسه في مسيرة نظام الفطرة العالمي والإنساني، ويديرها من خلال التعاليم المتناسبة مع بنائه الروحي والجسمي. وعندها يتجه نحو العلو والكمال اللائق به.

وكانت يد الجهل والإعراض طوال التاريخ تسد طريق الإنسانية، ومن خلال فرض الأنظمة المخالفة للإنسانية تحرفهم عن صراط الفطرة. وكان الأنبياء يقفون أمامهم ليرجعوهم إليه.

ومن هذا البيان يعلم أن على النبي أن يحدث تغييراً أصيلاً وشاملاً لجميع جوانب وأبعاد الحياة ويبدل النظام الاجتماعي الجاهلي والمنحرف إلى نظام صحيح وعادل. وهذه هي البعثة التي تحدث في المجتمع بعد بعثة النبي. ومن خلال هذه البعثة العظيمة تزول كل السنن والبرامج والقوانين والعادات الجاهلية، ليحل محلها النظام الصحيح والدين القويم الذي هو دين الله.

فلننظر إلى الآيات الأولى من سورة القصص بتدبر.. حيث نشاهد تلك الأفكار العامة حول النظام اللانساني لفرعون وفي مقابله النظام الإلهي والفطري الذي يطرحه موسى بديلاً:

{تلك آيات الكتاب المبين \* نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون \* إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين \* ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين \* ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون}. (القصص / ٢ — ٦).

وفي عدة آيات قرآنية، وبلهجة وأسلوب مشابهيين، يذكر ضرورة غلبة دين الله على سائر الأديان. وهو معنى استقرار وقيام النظام الإلهي (وقد تكرر هذا الأمر في عدة سور، كسورة التوبة والفتح والصف). وهنا نذكر عدة آيات من سورة الصف:

{ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين \* يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون \* هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}. (الصف / ٧ — ٩).

#### ٤ — أهداف النبوة

ذكرنا أن النبي في واقعه الاجتماعي هو الذي يحدث بعثة جديدة ونهضة حقيقية ويحطم بحركته الشريفة كل بناء الجاهلية. ولكن، ما هو الهدف من هذا العمل؟

إن أعظم وأسمى هدف للأنبياء هو تخلص الناس من مستنقع الدنيا وفسادها من خلال تفجير ينابيع القابليات المودعة في أعماقهم ليوصلوهم إلى أعلى مراتب الرقي والكمال الإنسانيين؛ فالإنسان قد خلق بالأبعاد

الغنية الفياضة بالحسن والفضيلة، ولكن السير في قناة التربية الصحيحة هو الكفيل بإبراز هذه الأبعاد وإخراجها إلى ساحة الظهور وإيصال الإنسان إلى الكمال. فهدف بعث الأنبياء، في النهاية، أداء هذه التربية والبناء والتي جاء التعبير عنها في القرآن: "بالتزكية"، و"التعليم". فالإنسان يصل إلى الفوز والصلاح من خلال متابعة تربية الأنبياء، ويصل إلى الهدف النهائي الذي خلق لأجله.

ولأجل أن يتمكن البشر من الاستفادة من المواهب الطبيعية التي أودعت في خلقهم ويصلوا بعدها إلى الكمال، ما هو الطريق الذي يجب أن يسيروا عليه؟

فمن بين الأجوبة المختلفة يبرز جواب الأنبياء وهو تأمين المحيط السالم للإنسان والمنسجم مع البناء الطبيعي له وهذا المحيط هو "المجتمع التوحيدي الإلهي العادل". وبالدخول في مثل هذا المجتمع، تسهل حركة الإنسان ويسرع إلى الهدف النهائي الذي خلق لأجله.

فالأنبياء والرسل يسعون لتحقيق هدف آخر في منتصف الطريق للهدف النهائي، وهو إقامة "النظام التوحيدي والإسلامي" في المجتمع على أساس العدل والتوحيد وكرامة الإنسان بعيداً عن الظلم والشرك والخرافات والجهل وكل أمر دنيء.

ومن خلال التدبر في الآيات التالية نقف على الحقائق المذكورة:

{لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز}. (الحديد / ٢٥).

{واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون \* الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون}. (الأعراف / ١٥٦ — ١٥٧).

#### ٥ — أول نغمات الدعوة

إن أول شعار في دعوة الأنبياء هو دعوة التوحيد التي هي أكثر النقاط حساسية وأهمية، بل هي الروح الأصيلة في مدرسة الأنبياء.

وإذا كنا نشاهد في البرامج الثورية للمدارس الأخرى أن سياق العمل يقوم على أساس "التدرج" وتكون الشعارات في البداية لأجل الوصول إلى أهداف أخرى في النهاية، فإن الحديث في برامج الأنبياء يكون في البداية هو نفسه الذي يقال في النهاية، وكل من يؤمن في البداية سوف يتعرف الهدف والمقصد ويتجه نحوه بكامل البصيرة والوعي.

أولئك الذين عايشوا بدايات دعوة الأنبياء وآمنوا بها بخلاف أولئك الذين تمردوا عليها وأنكروها، كانوا يعلمون جيداً أشكال التسلط البشري والاختلاف الطبقي والاستغلال والظلم، وكذلك كانوا يريدون أن يحققوا البناء الاجتماعي وفق حرية الإنسان وكرامته وعلى أساس العدل الاجتماعي والرفاهية العامة.

وهذا ما كان يحدد هدف مدرسة الأنبياء وطريقهم، ويحدد أيضاً طبيعة المعارضين والأعداء، وكذلك فإن طريق الالتزام وتحمل المسؤولية والارتباط كانت تتضح لكل من يأتي بعد الأنبياء مما يمنع من حصول الانحراف في المسالك والعقيدة.

والقرآن الكريم يذكر "العبودية لله" و"اجتناب الطاغوت" في موارد عديدة كأول شعار للأنبياء وهو التوحيد:

{لقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين}. (النحل / ٣٦)

{لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم}. (الأعراف / ٥٩).

{وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون} \* قال الملاء الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين} \* قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين} \* أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين} \* أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون} \* قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين} \* قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان فانظروا إني معكم من المنتظرين}. (الأعراف / ٦٥ — ٧١).

## ٦- الفئات المعارضة

علمنا أن البعثة هي عبارة عن نهضة اجتماعية تحدث تغيراً عميقاً وجذرياً في المجتمع الصالح والطبقات المحرومة والمظلومة، وتهدد مصالح الطبقات المرفهة وامتيازاتها. وهذا الحديث يوصلنا إلى فصل حساس جداً من أبحاث النبوة، وهو من جهة يعتبر من أهم أبحاثها، وهو فصل الصراع والمواجهة.

ومن الواضح الجلي أن دعوة المواجهة والوقوف مقابل امتيازات الطبقات لم تكن في يوم من الأيام وفي أي نقطة من العالم وعبر التاريخ محل قبول الجميع، أو لنقل إن المدافعين عن الطبقات المحرومة كانوا يواجهون مباشرة من تلك الطبقات التي ترى في حركاتهم تهديداً لهم، وهذا هو منشأ المواجهات والصراعات التي جرت بين الخطين.

ولهذا السبب أيضاً طرحت العشرات من المسائل المهمة حول النبوة.

(وسوف نشير إلى بعضها).

والآن لكي نتعرف هذه الفئات بالتفصيل نرجع إلى القرآن الكريم.. فالقرآن يذكر في بعض المواضع وبلغة عامة وجود المعارضين لدعوة الأنبياء.

وفي موضع آخر يذكر ثلاثة أسماء هي عناوين الطبقات الثلاث (فرعون وهامان وقارون نماذج طبقة الحكام، والرجال والقادة، وأخيراً الأشراف والمترفين). وفي مواضع أخرى يذكر هذه الطبقات الثلاث ويضيف إليهم طبقة أخرى هي طبقة رجال الدين، ليصبحوا أربع طبقات وهم:

١ — الطاغوت ٢ — الملاء ٣ — المترفين ٤ — الأحبار والرهبان.

والآيات التالية نموذج لعشرات الآيات التي تحدثت في هذا المجال:

{وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون  
\* ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتربوا ما هم مقتربون}. (الأنعام / ١١٢ — ١١٣).

{ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين \* إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب \* فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال}. (المؤمن / ٢٣ — ٢٥).

{وما أرسلنا في قرية من نذير إلى قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون \* وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين}. (سبأ / ٣٤ — ٣٥).

{يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم}. (التوبة / ٣٤).

٧ — عاقبة النبوة (١)

إن الطريق الذي يدعو الأنبياء الناس إليه، هو طريق طبيعي ومنسجم مع فطرة الإنسان، وحركة الناس في ذلك الطريق حركة طبيعية، ولهذا فإنها تتم بسرعة وسهولة كبيرة. أما الأنظمة الجائرة والجاهلية التي تبعد الناس

عن هذا الطريق فهي مخالفة لطبيعة الإنسان وفطرته، ولهذا فهي غير مستقرة ومحكومة بالزوال.

ومن هنا يمكن معرفة عاقبة حركة الأنبياء والنبوات..

فخلافًا للنظريات السطحية والساذجة، لم تكن حركة الأنبياء حركة فاشلة، وبالتالي لم يعترها الباطل. وكان الأنبياء الإلهيون عبر التاريخ يحققون النجاح والانتصارات ويهدون الشعوب في مسيرتهم. وسوف يبقى هذا حتى نهاية العالم.

وكل واحد من حاملي رسالة الحق قد تقدم بالبشرية عبر الشريط الممتد للتاريخ؛ وقد يسّروا سير الإنسانية نحو الهدف الأساس للخلقة وهو الوصول إلى السمو والتكامل وسرّعوا من حركتها. وبعد سنوات السعي والجهاد المرير رحلوا عن هذا العالم — لأسباب عديدة — وكانت المهمة الأخيرة لهم إيداع هذه الأمانة الإلهية — أمانة هداية البشرية — عند رسول أو مأمور من بعدهم ليطووا صفحة الحياة في هذا العالم بالفوز والفلاح.. ونتيجة لذلك، أصبحت البشرية في هذه المرحلة التاريخية — وبعد العمر المديد الذي عاشته — أقرب إلى أهداف الأنبياء على أثر الوعي، الذي هو من ثمار دعوة الأنبياء أيضاً.

وسوف تستمر هذه المسيرة الطبيعية إلى ذلك اليوم الذي تتقدم فيه بآخر خطوة على يد آخر الحجج الإلهيين نحو التربية والرشد وتطوي طريق التكامل والعلو — الذي لا انتهاء له — بسرعة أكبر من كل الأوقات والأزمنة.

وهذه هي الخاتمة الحقيقية للنبوّة وطريقها.



النقطة المهمة جداً هي أن الانتصارات والتوفيقات المرحلية كانت وليدة عاملين مصيريين هما: الإيمان، والصبر.

وكل الهزائم التي حصلت أثناء المسير كانت نتيجة افتقاد هذين العاملين.

وفي الآيات التالية بشائر للمؤمنين وسنن للعاقلين:

{... قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار \* أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رايباً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال \* للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد}. (الرعد / ١٦ — ١٨)

{ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين \* انهم لهم المنصورون \* وان جندنا لهم الغالبون \* فتول عنهم حتى حين \* وأبصرهم فسوف يبصرون \* أفبعذابنا يستعجلون \* فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين \* وتول عنهم حتى حين \* وأبصر فسوف يبصرون \* سبحان ربك رب العزة عما يصفون}. (الصافات / ١٧١ — ١٨٠)

## ٨ — عاقبة النبوة (٢)

مختصر الكلام هنا حول خاتمة النبوات، هو أن دعوة الأنبياء، عبر مراحل التاريخ وفصوله، كلما كانت مقرونة بالإيمان والصبر الكاملين منهم

ومن أتباعهم، كان نصيبها النصر والفلاح والتوفيق في إيجاد المجتمع الصالح والنظام المطلوب وتحطيم الأنظمة الجاهلية.

ولقد استطاع جميع الأنبياء — حتى أولئك الذين واجهوا هزيمة ظاهرية مرحلية — الوصول إلى أهدافهم ومقاصدهم في الخط العام لمسيرة النبوة، وذلك برفع مستوى الفكر والمعنويات الإنسانية وبناء البشرية ليتمكنوا من الوصول إلى المرحلة اللاحقة. وبين القرآن الكريم هذه الحقيقة ضمن آيات عديدة سواء عند الحديث عما جرى على الأنبياء، أو عند ذكر الحقائق المرتبطة بعامة الأنبياء لأجل إطلاع وتسلية خاتم الأنبياء (ع) والمسلمين وجميع من سيتبع طريق الأنبياء.

{إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد \* يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار \* ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب \* هدى وذكرى لأولي الألباب \* فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار}. (المؤمن / ٥١ — ٥٥).

وفي سورة الأنبياء ذكر انتصار الأنبياء وهزيمة المتجبرين والمعاندين: {وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين \* فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون \* لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تُسألون}. (الأنبياء / ١١ — ١٣).

ثم بعد عدة آيات يذكر القرآن ما جرى على إبراهيم (ع): {قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم \* وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين \* ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين

\* ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين \* وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين { (الأنبياء / ٦٩ — ٧٣).

#### ٩ — الالتزام والإيمان بالنبوة

إن أكثر المسائل العملية التي تقبل الطرح — في خاتمة أبحاث النبوة — هي أن قبول دعوة النبي بالالتفات إلى فلسفة النبوة ومضمونها وروحها وجوهرها متلازمة مع قبول الالتزام الواقعي الحتمي؛ أي إن الذي يؤمن بدعوة النبي ينبغي أن يتبع خطوات النبي ويؤازره في المسؤولية الملقاة على عاتقه.

ويكون هذا في الحقيقة دليلاً على إيمانه بالنبوة.

إن النبوة هي التي تُحدث جواً فكرياً جديداً، وتطرح طريقاً جديداً وهدفاً جديداً أيضاً؛ فالمؤمن هو الذي يؤمن بفكره ويتبع طريقه ويتجه نحو هدفه. وليس بالضروري للمعارض أن يعارض، بل يكفي أن لا يتبع، فكل من يقف في الوسط بين النبي ومعارضيه ليس مع النبي وليس منه، وكل من ليس معه فهو عليه. وقد أعلن عن هذه الحقيقة ضمن عشرات الآيات القرآنية بشكل واضح وغير قابل للشك:

{إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير \* والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد

كبير \* والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم \* والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم}. (الأنفال / ٧٢ — ٧٥).

{وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين \* فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون}. (آل عمران / ٨١ — ٨٢).

{مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين}. (الجمعة / ٥).

## الولاية

### ١ — الولاية

إن الفكر الجديد الذي يحمله النبي بوحى الإله، ويدعو فيه إلى بناء حياة جديدة، إنما يصبح مؤثراً في تحقيق هذه الحياة عندما يتحقق في البداية في فكر وروح وعمل مجموعة منظمة.

وهذا الجمع الذي يشكل جبهة محكمة لا يمكن اختراقها، عليه أن يحفظ وحدته وانسجامه بكل أوتي من قوة، ويسعى حثيثاً لكي لا يذوب في التيارات الفكرية والعملية المخالفة.

وهذا ما يتطلب منه الاحتراز من كل أشكال العلاقات والتبعيات الأخرى التي تؤدي إلى إضعافه أو تمييعه. بل وإن يقطع مثل هذه الروابط إذا اقتضى الأمر.

ويسمى هذا النوع من الترابط والاتحاد الفكري والعملية في عرف القرآن "بالولاية"، (الموالة والتولي).

وإذا تبدل هذا الجمع المترابط — الذي يشكل حجر الأساس للمجتمع الإسلامي والقاعدة الأصلية للأمة الإسلامية — إلى أمة قوية ومجتمع منصهر في بوتقة الإسلام، فعليه أن يلتزم بأصل "الولاية" أيضاً، لأجل حفظ الوحدة ومنع نفوذ الأعداء ومؤامراتهم.

وينبغي أن نبحث في آيات عديدة من القرآن الكريم عن النقاط الدقيقة للولاية القرآنية، والتي سيأتي الحديث عنها فيما بعد:

{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل \* إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون \* لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير \* قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده}. (الممتحنة / ١ — ٤).

## ٢ — روابط الأمة الإسلامية

إن الجبهة الواحدة المترابطة التي تكون في الحقيقة بانية للمدينة الإسلامية الفاضلة، تنتشر بعد تشكيل وحدة الأمة العظيمة بين عموم المؤمنين والمعتقدين بالدين، فيتجلى مبدأ "الولاية" في مواقفها وحركاتها الداخلية والخارجية.

ففي الداخل، على جميع آحاد الأمة وطبقاتها أن يعبثوا كل القوى بدقة تامة واحتياط في طريق واحد ونحو هدف واحد، ويتجنبوا كل ما يؤدي إلى تفرقهم وتشتتهم ويذهب بريحهم.

وفي الخارج عليهم أن يجتنبوا كل أنواع العلاقات والروابط التي من شأنها أن تجعل عالم الإسلام في خطر السقوط والتبعية.

ومن الواضح جداً أن حفظ ورعاية هذين المبدأين "للولاية" (الارتباط والانسجام الداخلي، وعدم التبعية والانسياق للخارج) يستلزم وجود قدرة مركزية ذات سلطة، تكون في الحقيقة تجسيداً عملياً لجميع عناصر القوة والبناء في الإسلام (الإمام — الحاكم الإسلامي)، ويستلزم أيضاً ارتباط جميع آحاد الأمة بشخص الحاكم (الإمام) بشكل عميق بحيث يكون محور كل الفعاليات والنشاطات العامة للمجتمع مرتبطاً به.. وهنا بعد آخر من أبعاد الولاية: وهو "ولاية الإمام وقيادة العالم الإسلامي".

وفي الآيات التالية، يمكن ملاحظة الإشارات الواضحة للقرآن إلى هذه الحقائق الدقيقة والعميقة:

{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين \* فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين \* ويقول الذين آمنوا أ هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين \* يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أ ذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم \* إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون \* ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون}. (المائدة/ ٥١ — ٥٦).

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون \* واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}. (آل عمران / ١٠٢ — ١٠٣).

### ٣ — جنة الولاية

إن المجتمع يكون صاحب "ولاية" عندما يكون "الولي" محدداً، ويكون — عملياً — مصدراً لجميع النشاطات والفعاليات الإنسانية.

أما الفرد فإنه يكون صاحب "ولاية" عندما يمتلك معرفة صحيحة — "الولي" ويسعى دائماً لأجل تحقيق المزيد من الارتباط به، كونه مظهر الولاية الإلهية؛ لأن "الولي" هو خليفة الله، ومظهر القدرة الإلهية العادلة على الأرض، فإنه يستفيد من جميع القدرات والقابليات المودعة في وجود البشر لتحقيق تكاملهم وتعاليمهم، ويقف سداً منيعاً بوجه كل ما يمكن أن يؤدي إلى ضررهم.

وهو يسعى إلى تأمين العدل وبسط الأمن لأجل تأجيج الطاقات الإنسانية، كما يسعى لتأمين الأرض الخصبة والماء العذب والجو المساعد في بيئة الحياة، ويمنع من ظهور أشكال الظلم المختلفة (الشرك، الاعتداء، وظلم النفس)؛ ويقود الجميع نحو العبودية لله، ويرفع من مستوى الكفر الإنساني، ويحثهم على العمل والإبداع، ويجعل ذكر الله (الصلاة) والقضاء على المنكرات (النهي عن المنكر) من برنامجه الأساسي، وباختصار، فالولي هو الذي يقرب الإنسانية من الهدف والغاية التي خلقت لأجلها.

إن التدبر في الآيات التالية، يفتح أمامنا آفاقاً واسعة لجنة الولاية، ويوضح لنا سر الحديث القائل: "وما نودي بشيء مثلاً نودي بالولاية":



{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ \* تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ \* وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}.

(المائدة / ٧٨ — ٨١).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ \* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقَمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَإِنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ \* قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}.

(المائدة / ٥٧ — ٦٠).

#### ٤ — حول الولاية

يطرح حول أصل الولاية — مع تلك السعة والجامعية التي أعطيت له في القرآن — مسائل كثيرة يمكن أن تكون كل واحدة منها أصلاً لمعرفة التوجهات الإسلامية. وفي الآيات التالية نستطيع أن نتعرف بعضها من خلال التدبر والتدقيق:

١ — إن "ولي" المجتمع الإسلامي، أي السلطة التي تقود جميع النشاطات والفعاليات الفكرية والعملية وتديرها، هو الله تعالى وكل من يعينه الله — بالاسم أو الصفة — في هذا المنصب:

{إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون}. (المائدة / ٥٥).

{إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمًا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً} \* يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً} \* ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً}. (النساء / ٥٨ — ٦٠).

{من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً}. (النساء / ٨٠).

٢ — ان ولاية الله وقبولها من جانب المؤمنين ناشئان من فلسفة وعقيدة فكرية ورؤية كونية إسلامية، ولهذا فهما أمران طبيعيان:

{وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم} \* قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين}. (الأنعام / ١٣ — ١٤).

٣ — ان كل ولاية غير ولاية الله وخلفائه هي ولاية للشيطان والطاغوت. والقبول بولاية الشيطان يؤدي إلى تسلطه على جميع القوى البناءة والخلاقة التي أودعت في أعماق الإنسان، ليجعلها تصب في قناة الهوى والطغيان.

فالطاغوت لا يؤمن إلا بمصالحه الخاصة ولا يعطي اعتباراً لأحد سواه، ولا يرى مصالح المجتمع إلا قناة تصب في مصالحه الشخصية، وبالأساس

لا يعتني بحاجات الإنسان وإمكاناته الطبيعية. ولهذا فإن قيادته للمجتمع تكون منشأ الضلال والخسارة وضياع الكثير من الطاقات العظيمة؛ وعلى أثر هذا الجهل والإهمال الذي يحصل في المجتمع والعالم، الذي يروح تحت ولاية الطاغوت، تحرم البشرية من نور المعرفة والإنسانية وسطوع نور دين الله في الحياة، وتبقى أسيرة ظلمات الجهل والهوى والشهوة والغرور والطغيان.

{فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم \* إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون \* إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون}. (النحل / ٩٨ — ١٠٠).

{ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً \* إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً \* ان يدعون من دونه إلا اناثاً وان يدعون إلا شيطاناً مريداً \* لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً \* ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً \* يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً}. (النساء / ١١٥ — ١٢٠).

{الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}. (البقرة / ٢٥٧).

## ٥ - الهجرة

٤ - ان ولاية الطاغوت والشیطان فی النظام الجاهلي والطاغوتي تجعل المؤمن مرتبطاً - من خلال آلاف الروابط - بالقدرة الطاغوتية، وتحاصره بطريقة خفية بأسوار النظام الجاهلي؛ تسلبه الحرية، وتجبره لا إرادياً إلى المصير الذي ينتظر ذلك النظام، وتمنعه من استغلال طاقاته في سبيل الله وفي الطريق الذي رسمه الدين والمنهج الإسلامي.

إن هذه الحقيقة التي لا انتقاض لها ولا استثناء، تطرح قضية الهجرة، التي تعني الانعتاق من قيود أغلال النظام الجاهلي والوصول إلى البيئة الإسلامية الحرة، حيث كل العوامل والدوافع الإنسانية تقربه إلى الهدف الذي يريده الله، وتشكل مسيرة المجتمع الطبيعية نحو التعالي والتكامل الفكري والروحي والمادي؛ هناك حيث تفتح كل سبل الخير والصالح، وتغلق أبواب الشر والسوء.. أي المجتمع الإسلامي.

ولهذا، فبناءً على أصل "الولاية" تكون الهجرة تعبيراً عن الالتزام المباشر والضروري عند المؤمن؛ الالتزام بالانتقال من المحيط الجاهلي إلى المجتمع الإسلامي والدخول في ساحة ولاية الله.

إن التدقيق والتأمل في آيات "الهجرة" في القرآن، يوضح أموراً عديدة في هذا المجال، فلنستمع إلى هذه الآيات الملهمة:

{وَدُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً}. (النساء / ٨٩).

{إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير \* والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير \* والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم}. (الأنفال / ٧٢ — ٧٤).

{إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً \* إلا المستضعفين من الرجال والنساء والوالدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً \* فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً \* ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً}. (النساء / ٩٧ — ١٠٠).

## فهرس الكتاب

المقدمة.....	٢
الإيمان.....	٥
١ — الإيمان.....	٥
٢ — الإيمان الواعي.....	٦
٣ — الإيمان يولد العمل والالتزام.....	٧
٤ — الإيمان والالتزام بالتعاليم.....	٨
٥ — البشائر.....	٩
التوحيد.....	١٤
١ — التوحيد في الرؤية الكونية الإسلامية:.....	١٤
٢ — التوحيد في الآيدولوجية الإسلامية.....	١٥
٣ — انحصار العبادة والطاعة لله.....	١٦
٤ — روح التوحيد: نفي العبودية لغير الله.....	١٨
٥ — التوحيد ونفي الطبقة الاجتماعية.....	١٩
٦ — التأثير المعنوي للتوحيد:.....	٢١
النبوة.....	٢٢
١ — فلسفة النبوة:.....	٢٢
٢ — البعثة في النبوة:.....	٢٣

٣ — البعثة الاجتماعية للنبوّة:	٢٥
٤ — أهداف النبوّة	٢٦
٥ — أول نغمات الدعوة	٢٨
٦ — الفئات المعارضة	٣٠
٧ — عاقبة النبوّة (١)	٣١
٨ — عاقبة النبوّة (٢)	٣٣
٩ — الالتزام والإيمان بالنبوّة	٣٥
الولاية	٣٧
١ — الولاية	٣٧
٢ — روابط الأمة الإسلامية	٣٨
٣ — جنة الولاية	٤٠
٤ — حول الولاية	٤١
٥ — الهجرة	٤٤
فهرس الكتاب	٤٦